

مارس 2006

### الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية في عهد محمد علي

فرد لوسون ترجمة: عنان الشهاوي، مراجعة وتقديم: رءوف عباس، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005،  
274 صفحة

الفكرة الأساسية التي يتبناها المؤلف هي أن حركة التوسع في عصر محمد علي كانت تحركها بواعث اجتماعية متباينة: فعندما حدث التوسع في الحجاز كان ذلك يهدف إلي احتواء ثم تصفية الجناح العسكري التقليدي في السلطة من الترك والمماليك، وتحجيم حلفائهم من كبار الملاك لصالح التحالف بين محمد علي والتجار، وعندما اشترك في حرب المورة لتصفية الثورة اليونانية ضد السلطان العثماني، فقد كانت دوافع تلك الحرب هي خدمة مصالح التجار (حلفاء محمد علي) بعد ما جار الأوروبيون علي مجالهم الحيوي في مشرق البحر المتوسط، وعندما شن حروب الشام، فقد كان دافعه لذلك حسم التناقض بين مصالح الدولة والتجار من ناحية، وأصحاب الملكيات الإقطاعية من ناحية ثانية. وهي الفكرة التي يواجهها المؤرخ الكبير الدكتور رءوف عباس بانتقادات أساسية في تقديمه للكتاب من عدة زوايا، أولها أن المؤلف بوصفه متخصصاً في العلوم السياسية، سعي إلي تطبيق فروض منهج البحث في العلوم السياسية علي دراسته، فاستقي مادته التاريخية بطريقة انتقائية، واختار من الوقائع ما يخدم فكرته.

وهو حين يرد نزعة محمد علي التوسعية إلي أسباب اجتماعية خاصة بمصر دفعته إلي التوسع فيما لم يجر ذلك مثلاً في ولايات عثمانية أخرى، فإن ذلك يشير إلي عدم إدراك لحقيقة الدولة العثمانية وطبيعة الولايات الخاضعة لحكمها ونوع السلطة بين المركز والأطراف، وتباين الأوزان السياسية والاستراتيجية لكل منها.

والمؤلف - بحسب ما تؤكد مراجعته الدكتور عباس - يفترض تناقضاً وهمياً بين نخبة الإدارة التجارية وكبار الملاك الإقطاعيين، هذا تناقض وهمي لأن كبار الملاك وعلي رأسهم محمد علي وأسرته، كانوا يحكمون قبضتهم علي الإدارة والنشاط الاقتصادي معاً، وهو ما ينفي فكرة أن الضغوط الاجتماعية كانت هي المحرك الرئيسي للتوسع الخارجي

[http://www.weghatnazar.com/publication/publication\\_details.asp?id=1331&issue\\_id=55](http://www.weghatnazar.com/publication/publication_details.asp?id=1331&issue_id=55)